

ماضى القرويين وحاضرها

للاستاذ عبد الله كنون الحسنى

تمتة

—•••••—

ومنذ جريان العمل بهذا النظام والانتقادات توجه إليه من كل طبقة من الطلاب . وأحق هذه الانتقادات بالانتقادات أن غالب المواد أُسِّدت إلى من لا يحسنها ، وأن كتب الدراسة لم يدخل عليها أى تعديل . فالفقه مثلاً لا زال يدرس في مختصر الشيخ خليل ذى الشروح المديدة والحواشى الكثيرة ؛ والنحو لأزال يدرس في الابتدائى بشرح الأزهري للأجرومية . والألفية أبداً شرح الكدودي لها بشرح ابن الناظم وليس بذلك

على أن الذى لا يصح إنكاره من عاصر هذا النظام فضلاً عن ضبطه لأوقات الدراسة هو إحياءه لعلوم الحديث والتفسير، وإدخاله لبعض العلوم التى كان الطالب القروي محروماً منها كالناريخ والجغرافية والهندسة . فأما كون المواد تسند إلى غير أهلها فالحقيقة فى ذلك أن بعض العلوم لم يكن لأهل القرويين فى الوقت الحاضر بها مساس مع ما انضم لذلك من إبعاد نبغاء أهل العلم والأدب عن الكلية وأخذهم للوظائف الحكومية ؛ فواجب أن تجلب الحكومة بعض أساتذة تلك العلوم من معاهد الشرق بينما ترسل بعثات من أبناء القرويين للتخصص فيها وتدريبها عند عودتهم . كما يجب أن يعاد أولئك الأفاضل المقصون عن الكلية إلى حظيرة التعليم ؛ فمن الجور أن يضيع عمرهم فى غير ما خلقوا له ويضاع معه مستقبل الطلبة الذى نحن عليه جد حريصين

وأما مسألة الكتب فإن الزمان كفى بتعديلها على أحسن الوجوه . ومن الانصاف أن نفترف أن الوقت لم يحسن بعد لتسويتها كما ينبغي ، لما نرى عليه بلادنا من التأخر المزرى فى وسائل النشر وصناعة الطبع . وعسى ألا يستمر الأمر على ذلك زماناً طويلاً ولا سيما بسد تنظيم خزانة القرويين والاهتمام بجمع كتونها وذخائرها وحفظها من التلف ورد اليد المادية عنها

فالمستقبل باسم إن وجد من يعمل بجهد وإخلاص هذا، ولنا نظر فى إصلاح القرويين نديه هنا — ولو لمجرد المناسبة — فهو أقرب تناولاً وأمثل سرعة وأنسب حالاً من كل إصلاح غيره . وذلك أننا نرى أن تخصص الكلية بالدراسات الإسلامية المحضة وما يعين عليها ، من علوم القرآن بما فيها القراءات التى قدمنا ما كان لأسلافنا من العناية بها، والحديث والفقه والأسلين ووسائل ذلك من النحو والفقه والبيان والمنطق والحساب والهيئة ونحوها ، على أن تكون دراسة هذه بحسب التبع لتلك، ومن أجل أنه لا يتوصل إلى المطلوب إلا بها، وذلك كان أشياخنا رحمهم الله يسمونها علوم الآلات ؛ والمقصود الأهم الذى يحمل نصب العين ويخص بالتمتع فى النظر والتوسع فى البحث هو الفقه والحديث وسائر العلوم المذكورة سابقاً التى تؤمل من وراء دراستها على هذا النمط والانتطاع لها بهذه القابلية أن نخرج رجالاً متعلمين منها أشد التطلع ، متقنين لها أحسن الاتقان ، فنسند عهد مالك والشافعى والبخارى وأحمد بن حنبل والأشعرى والماترىدى وابن حزم وابن العربى وعياض وابن تيمية وابن حجر وأضرابهم

وذلك فى حين توجه الرغبة واشتداد الطلب وتضافر الجهود إلى تأسيس جامعة عصرية Université تتكون من ثلاث كليات إحداها للأدب والثانية للطب والثالثة للعلوم . والى للأدب نموض بها تلك الدراسة الناقصة المقيمة التى حذفناها من برنامج القرويين، إذ أصبح من السليم بأن الأدب لا يحيا بتلك الطريقة، ولا ينتظر أن يكون له مستقبل فى هذه البلاد مادام لم يوجه الاتجاه المطلوب التى تقتضيه الظروف الحاضرة ، وامتداد إبان البحث إلى ما لم تكن عليه فى الأزمان النابرة . والثان للطلب والعلوم نسند بهما مفاقرنا فى الحياة العلمية والعملية التى مافتئنا نسمع التبشير بها والوعد باستقبالها منذ ربع قرن فأكثر كما كنا لا نرى لها أثراً إلا عند الغير

وبقطع النظر عن مسألة القرويين نحن لا نرى بداً — إذا كنا نريد نهضة حقيقية مبنية على أساس متين من الإصلاح الاجتماعى الشامل — من إنشاء هذه الجامعة التى كم عيننا بأسرها وتهمتنا بشأنها . ولذلك تتوجه بطلبتنا هذا إلى